With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"ڤايِشيڤ" هو النصّ الأسبوعي التاسع من كتاب "بريشِيت"(سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المَقطع السابع والثلاثين وينتهي بالآية الثالثة والعشرين من المقطع الأربعين.

قُوَّةُ الثَّنَاءِ الصَّادِقِ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

نظريًا، كان من المفترض أن يكون رؤوڤين/روبِن، الابنُ البكرُ ليعقوڤ/يعقوب، قائدًا، غير أنّه لم يُصبِح كذلك في الواقع أبدًا. وحين اقتربت ساعة موت يعقوڤ، أثنى على رؤوڤين بكلماتٍ مثيرة للإعجاب، وردت في الآية الثالثة من المَقطع التاسع والأربعين من سفر التكوين: "يَا رَؤُوفِينُ، أَنْتَ بِكْرِي، وَقُوَّتِي وَأَوَّلُ نَيْلِي، مُفَضَّلٌ فِي الشَّرَفِ وَمُفَضَّلٌ فِي الْعِزِّ." وهي كلمات توحي بأنّ رؤوڤين كان يتمتع بحضورٍ جسديّ طاغٍ وشخصيّةٍ ذات هيبةٍ واحترام.

لكنّ الأكثر أهمّية هو أنّ رؤوڤين، في سنواته الأولى، كان يبدو أكثر أبناء يعقوڤ رقةً وحساسيّةً وشعورًا بالآخرين. فهو ابنُ ليئاه/ليئه، وقد كان يُدرِك جيّدًا المرارةَ التي كانت تشعر بها أمّه لأنّها لم تكُن زوجة يعقوڤ المفضّلة. وقد ورد أوّل وصفٍ له وهو طفلٌ، في الآية الرابعة عشرة من المَقطع الثلاثين من سفر التكوين، حيث نقرأ: "ثُمَّ مَضَى رَؤُوفِينُ فِي أَيَّامِ حَصَادِ الْحِنْطَةِ، فَوَجَدَ لُفَّاحًا فِي الصَّحْرَاءِ، وَأَتَى بِهَا إِلَى لِيئَاه أُمِّهِ...". كان اللُّفّاح، المعروف أيضًا باسم اليَبْرُوح، نباتًا يُعتقَد أنّه يُثير الرغبة ويُعزّز الخصوبة. وكان رؤوڤين يعلم ذلك، رغم أنّه لا يزال طفلًا، فدفعته عاطفته الصادقة إلى تقديمه لأمّه. ورغم أنّها كانت بادرةً مؤثّرةً تنبع من حسٍّ مُرهفٍ، إلّا أنّها أسفرت عن نتيجةٍ عكسيّة، إذ قدّمه لأمّه بحضور راحيل، فتسبّب بغير قصدٍ في خلافٍ بينهما.

أمّا الحادثة التالية التي يظهر فيها رؤوڤين، فهي مأساويّة بامتياز، وقد وردت تفاصيلها ابتداءً من الآية التاسعة عشرة وانتهاءً بالآية الثانية والعشرين من المَقطع الخامس والثلاثين من سفر التكوين: "فَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَدُفِنَتْ فِي طَرِيقِ إِفْرَاتَ، هِيَ بَيْتُ لَحْمٍ... فَلَمَّا سَكَنَ بِسْرَائِيلُ ذَلِكَ الْبَلَدَ، مَضَى رَؤُوفِينُ، فَضَاجَعَ - ڤايِشْكف - بِلْهَاه أَمَةَ أَبِيهِ...". وإنْ فَهِمْنا النّصَّ بشكل حرفيٍّ، فهذا يعني أنّ رؤوڤين ارتكب خطيئةً عظيمة، إذ إنّ مضاجعةَ الابن لأَمَةِ أبيه ليست مجرّد فعلٍ جنسيّ، بل جريمة تغلب عليها الخيانة والغدر، كما سَنُدرِكُ لاحقًا في سفر صموئيل الثاني، حيث نقرأ في الآية الحادية والعشرين من المَقطع السادس عشر، أنّ أخيتوفَل نصح أڤشالوم/أبشالوم، الذي قرّر التمرّد على أبيه الملك داڤيد/داوود من أجل أن يصبح ملكًا بدلًا منه، قائلًا له: "ادْخُلْ إِلَى سَرَارِيِّ (إماء) أَبِيكَ اللَّوَاتِي تَرَكَهُنَّ لِحِفْظِ الْبَيْتِ، فَيَسْمَعَ كُلُّ بِسْرَائِيلَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مَكْرُوهًا مِنْ أَبِيكَ، فَتَتَشَدَّدَ أَيْدِي جَمِيعِ الَّذِينَ مَعَكَ".

غير أنّ التفسير الحاخاميّ المتعلّق بهذا الأمر، الوارد في باب الشّبات 55 أ – ب، كان واضحًا في رفضه للتفسير الحرفيّ. فبعد موت راحيل، نقل يعقوف فراشه إلى خيمة بِلْهَاه، جارية راحيل، وهو ما اعتبره رؤوفين إهانةً بالغةً لأمّه ليئاه. كان من الصعب على ليئاه أن تتحمل حقيقة أن يعقوف أحبّ أختها أكثر منها، فكيف كان بوسع قلبها الجريح أن يحتملَ أن يعقوف يفضِّل حتى جاريةَ أختها عليها؟! لذلك، تدخّل رؤوفين، فنقل فراش والده من خيمة بِلْهَاه إلى خيمة أمّه ليُدافع عن كرامتها الجريحة. ومن هنا، ينبغي ألاّ يُفهَم فعل "ڤايِشْكَف" على أنّه يدلّ على المضاجعة، بل أنّه يعني نقلُ موضع الفراش، أي "تغييرُ ترتيب النوم"، في فعلٍ رمزيّ يعكسُ تمرّدًا أخلاقيًّا وليس جنسيًّا.

لكن في هذه اللحظة، يحدثُ أمرٌ غريبٌ في النصّ. فهو يقول: "مَضَى رَؤُوفِينُ، فَضَاجَعَ (أو غيّر ترتيب النوم مع) بِلْهَاه أَمَةَ أَبِيهِ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ يِسْرَائِيلُ"، ثمّ يظهر في منتصف الجملة فاصل الفقرات* الذي تستخدمه التوراة، ثُمَّ تختتم الجملة بـ"فَصَارَ بَنُو يَعْقُوفَ بِبِنْيَامِينَ (أي بولادة بنيامين)، إِثْنَا عَشَرَ". وهذا أمرٌ نادر جدًّا في التوراة، أن يظهر فاصل الفقرات في منتصف جملةٍ لم تنتهِ بعد. وذلك يوحي بوجود صمتٍ مسموع، بعد أن انقطع بشكلٍ كاملٍ حبل التواصل والكلام بين يعقوف ورؤوفين. وإن كان التفسير الحاخاميّ الذي ذكرناه سابقًا صحيحًا، فنحن أمام واحدةٍ من أعظم المآسي في سفر التكوين بأكمله، لأنّ يعقوف كان يعتقد اعتقادًا راسخًا بأنّ رؤوفين قد ضاجع أَمَتَهُ بِلْهَاه، ولهذا لعنه في ساعة احتضاره، كما ورد في الآية الرابعة من المَقطع التاسع والأربعين من سفر التكوين: "فَائِرًا كَالْمَاءِ لاَ تَتَفَضَّلُ، لأَنَّكَ صَعِدْتَ عَلَى مَضْجَعِ أَبِيكَ. حِينَئِذٍ دَنَّسْتَهُ. عَلَى فِرَاشِي صَعِدَ".

ومع ذلك، فإنّ التفسير الحاخامي للنصّ يوضّح أنّ هذا الفعل لم يحدث قطّ. ولو كان يعقوف مستعدًّا للإصغاء إلى ابنه، لاكتشف الحقيقة. لكنّ يعقوف نشأ في بيتٍ يفتقر إلى الحوار الصريح والتواصل المنفتح، كما رأينا في تأمّلنا السابق في نصّ "تولدوت". وهكذا، اتُّهِمَ رؤوفين بخطيئةٍ لم يرتكبها، وظلّ لسنواتٍ موضع شبهة في عيني أبيه، وكلّ ذلك لأنّه أراد أن يُراعي مشاعر أمّه.

نصل الآن إلى ثالث حادثة مفصليّة في حياة رؤوفين، وهي دون شكّ، الأشدّ مأساويّة. لقد كان يعقوف يُفضّل يوسف، ابن زوجته المحبوبة راحيل، وكان إخوته على يقينٍ بذلك. وعندما منح يعقوف يوسف تونيّة ديباج (وتُسمّى في بعض الترجمات قميصًا ملوَّنًا)، شكّل ذلك علامةً ملموسةً لهذا التفضيل، فازداد حقد إخوة يوسف عليه. وقد وَرَدَتْ هذه التفاصيل في الآيتين الثالثة والرابعة من المقطع السابع والثلاثين من سفر التكوين: "وَكَانَ يِسْرَائِيلُ، يُحِبُّ يُوسِفَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهِمْ، لِأَنَّهُ لَهُ ابْنُ شَيْخُوخَةٍ، فَصَنَعَ لَهُ تُونِيَةَ دِيبَاجٍ. فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ، أَنَّ أَبَاهُ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهِمْ، شَنَؤُوهُ (كرهوه)، وَلَمْ يُطِيقُوا أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَيْهِ". ولمّا بدأ يوسف يحلم أحلامًا يرى فيها العائلة بأسرها ساجدةً له، بلغ غضبهم ذروته. وبينما كانوا يرعون القطعان، في مكان بعيد عن البيت، رأوا يوسف مقبلًا من بعيد، فدفعهم حقدهم إلى اتخاذ قرار فوريّ بقتله. لكن رؤوفين كان وحده من اعترض، كما ورد في الآيتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين من المَقطع السابع والثلاثين من سفر التكوين:

> "فَسَمِعَهُم رَؤُوفِينُ، وَخَلَّصَهُ مِن أَيَادِيَهُمْ، وَقَالَ: لَا نَقْتُلْ نَفْسًا. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ لَا تَسْفِكُوا دَمًا، اطْرَحُوهُ فِي هَذَا الْبِئْرِ الَّذِي فِي الْبَرِّ، وَلَا تَمُدُّوا يَدَيْكُم إِلَيْهِ، لِقِبْلِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِن أَيَادِيَهُمْ، لِيَرُدَّهُ إِلَى أَبِيهِ".

كانت خطّة رؤوفين بسيطة، تتمثّل في إقناع إخوته بألّا يقتلوا يوسف بأيديهم، بل أن يلقوه في البئر ويدعوه هناك ليموت جوعًا. وقد كان ينوي أن يعود لاحقًا، بعد أن ينصرف إخوته، لينقذه بنفسه ويُعيده إلى أبيه. ولكن، حين عاد لينقذه، كان يوسف قد اختفى، إذ تمّ بيعه عبدًا، فانهار رؤوفين من شدّة الحزن.

---

*ملاحظة توضيحية من المترجم: في مخطوطات (لفافات) التوراة، الرمز الذي يُشير إلى الفاصل هو الحرف العبري 'פ'، وهو يقابل الحرف العربي 'ف'، وهو الحرف الأول من الكلمة العبرية پَتُوح (פתוח) التي تعني "مفتوح". ويدلّ هذا الرمز حرفيًا على "فقرة مفتوحة"، أي بداية فقرة جديدة، أو فاصل بين مقاطع النص، أو وقوف جزئي داخل الآية. وما يلفت الانتباه في هذه الآية هو أن الحرف פ يظهر في منتصفها، وليس في نهايتها، وهو أمرٌ نادر الحدوث للغاية في التوراة.

ثلاث مرّات حاول رؤوفين أن يُصلح، ويُنقذ، ويفعل الصواب، لكنّ جهوده فشلت رغم حُسنِ نواياه. وقد كان السبب في الشجار الوحيد الوارد في التوراة بين أُمّه ليئاه وأختها راحيل. وقد اتّهمه والده ظلمًا بخطيئةٍ عظيمة، ولعنه وهو على فراش الموت. وقد فشل رؤوفين أيضًا في محاولة إنقاذ أخيه يوسف. كان رؤوفين يعرف تمامًا ما ينبغي القيام به، لكنّه كان دائمًا يفتقر إلى الثقة أو الجرأة الكافية ليُكمل الطريق حتّى النهاية. فقد كان عليه أن يُقدِّم اللُّفّاح لأمّه في وقتٍ تكون فيه وحدها، لا بحضور راحيل. وكان عليه، على افتراض أنّ التفسير الحاخاميّ لهذا الحدث صحيحٌ، أن يُصارح والده، ويشرح له لماذا نقل فراشه من خيمة بِلْهَاه إلى خيمة أمّه، وكان عليه أن يأخذ يوسف بيده، ويُعيده إلى أبيه سالمًا.

ما الذي حدث لرؤوفين حتّى يفتقد الثقة التي تمنح الإنسان القدرة على الحسم؟ تُلمّح التوراة إلى الجواب بطريقةٍ مؤثّرةٍ لا لبس فيها. فلنتأمّل في الآيات التي تصف ولادة رؤوفين وأخيه شِمعون، وذلك ابتداءً من الآية الحادية والثلاثين وانتهاءً بالآية الرابعة والثلاثين من المَقطع التاسع والعشرين من سفر التكوين: "فَعَلِمَ اللَّهُ أَنّ لِيئَاه مَشْنُوءَةً (مكروهة)، فَرَزَقَهَا وَلَدًا، وَرَاحِيلُ عَاقِرٌ. فَحَمِلَتْ لِيئَاه وَوَلَدَتْ ابْنًا، وَأَسْمَتْهُ رَؤُوفِينَ، لِأَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ لِضَعْفِي، وَالْآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي. وَحَمِلَتْ أَيْضًا، وَوَلَدَتْ ابْنًا، قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ أَنِّي مَشْنُوءَةٌ، فَرَزَقَنِي هَذَا أَيْضًا، وَأَسْمَتْهُ شِمْعُونَ".

في المرتين، كانت ليئاه هي من اختارت الاسم، لا يعقوف. وفي المرتين، كان الاسم بمثابة صرخة تنبع من قلبِ زوجةٍ تناشد زوجًا لا يحبّها. كم كانت تتمنّى لو أنّ يعقوف أحبّها لذاتها وروحها، وحين أدركتْ استحالة ذلك، راحت تأمل، على الأقل، أن يحبّها لأنّها أنجبت له أبناءً. ومع ذلك، لم يُبدِ يعقوف أيّ اهتمام، ولا يذكر النصّ التوراتيّ أنّه قام بأيّ ردّ فعلٍ تجاهها.

لقد نشأ رؤوفين في ظلّ هذا الإهمال، حاملًا في قلبه ألم أمّه، وكان يشعر ببرود والده نحوهما. وهو ما تؤكّد عليه التوراة صراحةً: "فَعَلِمَ اللَّهُ أَنّ لِيئَاه مَشْنُوءَةً (مكروهة)." وقد كان رؤوفين على علم بذلك، وعاش ألم هذه الحقيقة المرّة.

من أراد أن يُربّي أبناءً يعرفون كيف تكون القيادة، فعليه أن يزرع فيهم الثقة. ومن أراد أن يرى أبناءه يُبادرون حين يتطلّب الموقف شجاعةً، فعليه أن يُشعرهم بأنّهم مرئيّون، وبأنّهم محبوبون ومقدَّرون، وعليه أيضًا أن يُمكّنهم، ويُشجّعهم، ويُثني عليهم. وكم هو مثيرٌ للاهتمام أن نُقارن بين رؤوفين المُتردّد ويوسف الواثق، بل والمفرط في ثقته، والذي كان محبوبًا ومُفضّلًا من والده، وذلك كما ورد في الآية الثالثة من المَقطع السابع والثلاثين من سفر التكوين: "وَكَانَ بِسْرَائِيلُ يُحِبُّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهِمْ، لِأَنَّهُ لَهُ ابْنُ شَيْخُوخَةٍ، فَصَنَعَ لَهُ ثُونِيَةَ دِيبَاجٍ".

ثمّة حكاية مدهشة وردت عن حكمائنا في الفقرة الثامنة من المقطع الثاني من مِشناه آڤوت (أي "الآباء")، وهذا هو نصها: "كان الحاخام يوحَنان بن زَكّاي له خمسة من الطلّاب البارزين، وهم: الحاخام إليعيزَر بن هورقانوس، والحاخام يهوشوع بن حنانيا، والحاخام يوسيه الكاهن، والحاخام شِمعون بن نتنئيل، والحاخام إلعازار بن عراخ. وكان يُثني على كلّ واحدٍ منهم بطريقة فريدة، فيقول: الحاخام إليعيزَر بن هورقانوس كالبئر المطليّ بالشيد، لا يُضيّع قطرة واحدة من الماء، والحاخام يهوشوع بن حنانيا - طوبى لمن أنجبه، والحاخام يوسيه الكاهن - رجل تقيّ. والحاخام شِمعون بن نتنئيل - رجل تَقِيٌّ يتحاشى الخطيئة، وأمّا الحاخام إلعازار بن عراخ - فنبعٌ يتدفّق دون انقطاع.

لكن، لماذا تروي لنا الـ"مِشناه" هذا التفصيل الذي يبدو، للوهلة الأولى، بسيطًا لا يحمل رسالة عميقةً؟ ما الغاية من تعداد تلك الصفات في نصّ يهدف إلى تعليمنا الحقائق الخالدة؟ الجواب على هذا السؤال، في اعتقادي، هو أنّ الـ"مِشناه" تُعلّمنا هنا كيفية إعداد التلاميذ وتنشئتهم بالطريقة الصحيحة، كيف نكون مُرشدين ومعلّمين وموجّهين: وذلك من خلال استخدام الثناء الدقيق والمحدَّد.

فالـ"مِشناه" لا تقول ببساطة إنّ الحاخام يوحَنان قال خيرًا عن طلابه، بل تستخدم تعبيرًا نادرًا، وهو: "كان يَعُدّ ("مونيه") مَحاسنهم"، أي أنّ كلماته كانت محسوبة، ومدروسة، وموجّهة لكلّ واحدٍ منهم بعناية. لقد أخبر كلّ تلميذٍ ما هي قوّته الخاصة، وبما يمتاز به على وجه التحديد.

لقد امتاز الحاخام إليعيزَر بن هورقانوس بذاكرةٍ مذهلة. ففي زمنٍ لم تكن التوراة الشفوية قد دوِّنَت بعد، كان يستطيع تذكّر التعاليم وتلاوتها بدقّة لا يضاهيه فيها أحد. أمّا الحاخام إلعازار بن عراخ، فكان مبدعًا خلّاقًا، تتدفّق منه التأويلات الجديدة والمُلهِمةُ كأنّه نبعٌ لا ينقطع أبدًا. فعندما يتّبع الإنسان موهبتَه الفريدة وشغفَه الخاص، فإنّه يُسهم في العالم بما لا يستطيع أحدٌ غيره تقديمه.

لكن امتلاك موهبةٍ استثنائيّة لا يعني الكمال، بل كثيرًا ما ترافق هذه المواهب نقائصُ واضحة. فلا أحد يمتلك جميع نقاط القوّة، ويكفي أن تكون لدينا نقطة قوةٍ واضحة، شريطة أن نُدرِك أيضًا ما نفتقر إليه بوجودها. ولنضرب هذا المثال لتوضيح فكرتنا: كان الحاخام إليعيزر بن هورقانوس يمتلك ذاكرة حديدية كما ذكرنا، لكنّه تشبّث بالماضي إلى درجة جعلته يرفض الآراء المغايرة والتأويلات الجديدة، حتّى حين يُجمِعُ عليها أغلبية زملائه من الحاخامات. وفي نهاية المطاف، تمّ عزله عن الجماعة لرفضه القبول بحكم الأغلبية (التلمود البابلي، باڤا متسيعا 59 ب).

أمّا مصير الحاخام إلعازار بن عراخ فكان أكثر حزنًا. فبعد موت الحاخام يوحَنان بن زَكّاي، انفصل عن زملائه، إذ ذهبوا إلى يڤنيه، بينما ذهب هو إلى حمات (عمواس)، الذي كان مكانًا يتميّز بجودة المعيشة وسَكَنَتْ فيه عائلة زوجته. ويبدو أنّه كان واثقًا ثقةً مفرطةً في عبقريّته، لدرجة أنّه ظنّ أنّه قادرٌ على مواصلة دراسته وحده، دون الحاجة إلى صحبة مُتعلّمين مثله. لكنه، في نهاية المطاف، نسي كلّ ما تعلّمه (آڤوت دِرَبّي ناتان، الفصل الرابع عشر، الفقرة السادسة). وهكذا، انتهى الأمر بالرجل الذي كان في زمانه من بين الأكثر موهبة بين أقرانه، دون أن يترك وراءه بعد موته أيّ إسهامٍ يُذكَر في تقليدنا اليهوديّ.

ثمّة توازن دقيق لا بدّ من الحفاظ عليه: بين الإهمال الذي يُنتج شخصيّة متردّدة تخشى اتخاذ القرارات الحاسمة، وبين المديح المُفرط أو المحاباة التي ينجم عنها غرورٌ وثقة مفرطةٌ في النفس تُقنع الإنسان بأنّه أفضل من الجميع. وذلك التوازن ضروريّ إن أردنا أن نكون النورَ الذي يساعد الآخرين على النموّ.

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion*